



القلب الجسور

عن قصة الشهيد
جاسم المطوع

بقلم
فوزية السويلم

القلب الجسور

--





فهرسة
مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

813 السويلم ، فوزية سعد .
القلب الجسور : الشهيد جاسم محمد عبدالله المطوع / فوزية سعد السويلم .-
ط3. - الكويت: مكتب الشهيد، 2013
40 ص ؛ 21 سم. - (بصمات في تاريخ الكويت)
ردمك : 7 - 40 - 84 - 99906 - 978
1 - القصة العربية - الكويت .
2 - الشهيد جاسم محمد عبدالله المطوع .
أ - العنوان . ب - السلسلة

ردمك : 7 - 40 - 84 - 99906 - 978

رقم الايداع : 2011 / 065

Depository Number: 2011/065

ISBN: 978 - 99906 - 84 - 40-7

القلب الجسور

- ٢ -





«إهداء»

إلى أرضي الصغيرة ...

إلى حبي الكبير ...

إلى من يستحق التضحية والعطاء ...

«إلى الكويت»

مكتب الشهيد

القلب الجسور

- ٢ -





إن كانت المعاناة والآلام بما يصاحبها من آمال وكبرياء تتفتح أدباً وشعراً
وفناً، فذلك هو حال الحركة الأدبية والثقافية في دولة الكويت التي
انتصرت وجدانياً وأدبياً للتطورات السياسية والاجتماعية والإنسانية التي
عاشها العالم العربي منذ منتصف القرن الماضي، مروراً بأشهر الاحتلال
الصدامي لبلدنا الحبيب الكويت.

سجلت الحركة الأدبية والثقافية في بلدنا ظهور أعداد كبيرة من العمالقة
الرواد والمبدعين الكويتيين الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة العلم
والثقافة والفكر والفن والأدب، وأجادوا فن الكتابة والتعبير شعراً ونثراً.

في مجموعتنا « **بصمات في تاريخ الكويت** » أراد مكتب الشهيد
أن يسجل للتاريخ فورة غضب الكويتيين على المحتل، وإرادة النصر على
الغاصب مهما كانت عدته وعديده، والرغبة في الشهادة فداءً للأرض
والعرض. فعندما تحقق النصر وطُرد الغزاة حكمت اليراعات الكويتية
قصص بطولات، ووثقت معارك شرف وملاحم شرسة، خاضها ضد المحتل،
شبان وشابات بصدور عامرة بعشق الكويت وقلوب مؤمنة بنصر الله.

« **بصمات في تاريخ الكويت** » تضم باقة من أدب النصر على الاحتلال،
وصفحات من الكفاح لتحرير الأرض. وهي هديتنا لأبنائنا وإخواننا من هذا
الجيل ومن الأجيال القادمة في بلدنا الكويت، وفي كل مكان من هذا
العالم، نبراساً لتصدي الحق وانتصاره على الباطل، وشاهداً على حب الوطن
وتقديره، ووفاء لمن ضحوا بأرواحهم فداءً للكويت.

الوكيل المساعد

المدير العام لمكتب الشهيد

فاطمة أحمد الأمير



«مقدمة»

إن الاستشهاد بحد ذاته ليس عملاً بطولياً.. ولكن الهدف منه هو الذي يستحق منا ومن التاريخ وقفة تجيل واحترام.

فأبناؤنا الذين استشهدوا في أثناء الغزو الغاشم الذي بدأت مأساته في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م كان هدفهم من المقاومة والاستشهاد الدفاع عن أرض الكويت، فضحوا بأرواحهم من أجل ذلك. هؤلاء الأبطال حققوا هدفاً نبيلاً وعظيماً أعطانا فرصة لنبني من خلاله شموخنا وكبرياءنا من جديد.

هؤلاء الأبطال احتلوا بأعمالهم مخيلتنا واستطاعوا أن يسيطروا على شعورنا فتكثفت ذكراهم على سطح الأيام تنتظر الوقت المناسب لتهطل كالمنطر على صحراء الوجدان القاحلة لتعطر الأجواء بشذاها السحري ولتطرز صفحات التاريخ.

فاسمحو لي أن أشكر مكتب الشهيد لأنه فتح لي المجال بأن أكتب عن الشهداء وأغذي أوراقى البيضاء بأحداث نتشرف بها جميعاً.

فأرجو من الله أن يوفقني في نقل الأمانة إلى الأجيال القادمة وشكراً.

فوزية السويلم





وقف أمام النافذة يُرتب أفكاره.. يتنفس هواءً ملوثاً بأنفاسهم
القدرية ممزوجاً بهواء السدرة العطر.

تجه إلى مكتبه أمسك بالقلم وأخذ يسطر المنشورات..

الليل يخيم على منطقة السرة ومسجد الربيعان يفرق بالظلام
هو الآخر.. يخطو خطوات بطيئة ثقيلة ثقل يوم الخميس الثاني
من أغسطس ١٩٩٠.. يبدأ بتعليق لوحة كتب عليها يسقط صدام..
بالدم والروح نفديك يا كويت.

الوجوه تغرق بالظلام، تسافر إلى الولاء.. إلى الحب الطاهر
قال بتحد وإصرار:

لن نكتفي بذلك يا شباب بل سنقوم بتوزيع المنشورات على
المواطنين في منازلهم.. هيا بنا جميعاً.. هيا.. هيا..

البيوت مشرعة، مهجورة.. تئن من وجع الاحتلال.. الغدر..
جاسم يعلم جيداً مدى حاجة هذه البيوت، للجبن مع قطعة خبز،
كوب من الحساء الساخن وإناء مملوء بالباجلاء والنخي، الأكلات
المفضلة لديهم. رفع حاجبيه وقال بشهامة خليجية معروفة
لدى الجميع: سنقوم اليوم بتوزيع المواد الغذائية على العائلات
والأسر..

جاء صوت جماعي.. حاضر.. حسناً.. سيتم إن شاء الله.

قال شاب في مقتبل العمر.. هل تعتقد بأن المؤونة تكفي لكل
هذه الأعداد..

أجاب.. بالتأكيد فالسوق المركزي لجمعية السرة مملوءة
والحمد لله.





قال شاب آخر: سنقوم بتقسيم ما لدينا الآن ..
قاطعهم جاسم: لا .. انتظروا إلى أن نرسم خطة محكمة حتى لا
تخفق العملية ..

ننقسم إلى مجموعتين .. مجموعة تقوم بتوزيع الطعام والمجموعة
الأخرى تقوم بالمراقبة .

الطرق ضيقة على الرغم من اتساع مساحتها .

صدى الرعب والفرع يدوي في الوجدان، ويشتت الأمان ولكن
إصرارهم على أنه أقوى من الأزمة يدفعهم إلى حمل هذه الأكياس
وتوزيعها على البيوت. يقوم جاسم بطرق الباب .. تأتيه عيون متعبة،
وأيد ترتجف تمسك بالكييس .. تردد على مسامعهم كلمات الشكر
يتسارع الأطفال نحو الباب دفعة واحدة يلتفون حول جاسم يتساءلون
ببراءة «ليش العراقيين يطقونا، احنا شسويننا لهم» يجيب جاسم بكل
ثقة:

سنتنصر عليهم بإذن الله لا تخافوا فإننا على حق يا أبنائي ..

تخرج الكلمات منه كالنسيم العليل لترطب جفاف الشفاه التي
تشققت من كلمة العدوان العراقي فهي تعمل كالسكين .

ألقى بجسده المتعب على السرير، صور الاحتلال البشعة تقاوم
النعاس، تتم يحدث نفسه .. الكثير منا ليس لديه خبرة في حمل
السلح بل تكاد تكون معدومة .

يضع رأسه تحت الوسادة تارة ويضع الوسادة فوق رأسه تارة
أخرى ثم يقفز من على السرير .. يتجه نحو المكتب .. يصرخ .. علينا
أن نقاوم مهما كانت النتائج .. أن نلقنهم درسا لا ينسونه .. لن نكون
فريسة سهلة في أيديهم .





الساعة الثانية عشرة ظهراً.. جمعية السرة مطلية كأى مكان آخر في هذا البلد الصغير بقتامة الغزو .. تخيم عليها غيوم الغدر والظلم.

أخذ جاسم يتأمل هنا وهناك.. يحاول أن يرسم خطة عسكرية - في هذه الأثناء دخل عليه شاب صغير السن من موظفي الجمعية يحمل حاويات القمامة..

سأله جاسم: ما هذا؟.. قال الشاب:

- رائحة القمامة في الطرقات تكاد تخنق المارة فاضطرت لتنظيف الأماكن بنفسى.

قال جاسم: سأشاركك هذه العملية، سألحق بك بعد ثوان..

قال الشاب: لا فأنت مراقب من قبل جنود الطاغية ابتم جاسم ثم قال: لا بأس في ذلك فأنا لست خائفاً ولابد من المقاومة بأية طريقة كانت.

هاجس المقاومة بالسلاح يعود ليسيطر من جديد.

يحدث نفسه:

- عليّ أن أجتمع مع أصدقائي العسكريين اليوم.. بل في هذه اللحظة.

يمد يده إلى سماعة الهاتف. يتذكر بأن الخطوط ملغاة..

يتأفف.. ينزل إلى الشارع.. يستقل سيارته يصطدم بإحدى نقاط السيطرة الموزعة على كل المناطق.. يستوقفه جندي نحيف.. وجهه أصفر يبدو أنه يعاني من أنيميا حادة.. أنيميا القومية وحب العروبة.





يسأل بلهجة حادة:

إلى أين أنت ذاهب؟

ينظر له جاسم من خلال مقلتين تقطران ولاءً وعشقاً لهذا الوطن.

ذاهب إلى أهلي.. إلى بيتي.

رد الجندي قائلاً:

- أين يقع بيتك؟

أجاب جاسم: في السرة.

تفحص السيارة بنظرات حاقدة ثم قال بصيغة الأمر افتح مؤخرة السيارة..

يتجرع جاسم الموقف بكل مرارة كما تجرع المواقف السابقة لقد اعتاد على هذه الوجوه. التي تسافر بك إلى عالم الوحوش، عالم الغابات.

تابع الجندي أوامره.. تحرك بسرعة وإلا فرغت هذا المسدس في رأسك.

الأرصفة تعزف ألحاناً حزينة تتغلغل في أعماق جاسم توقظ في داخله انتفاضة ترفض الطعن بجميع أشكاله يتجه بكل ما يحمل في داخله من ثورة وغضب إلى منزل صديقه العقيد المتقاعد جاسم الياسين الذي شارك في معركة المباركية يوم الثاني من أغسطس.. ثم انسحب إلى منطقة كيفان.





جاسم الياسين رجل مُحكك ذو رتبة عسكرية عالية رفيعة المستوى لذلك اختير مسؤولاً عن منطقة السرة، جاسم وصديقه جاسم يجتمعان مع قادة عسكريين آخرين مثل اللواء فهد الأمير، المقدم طلال المسلم، الملازم عبداللطيف الطاهر، الملازم خالد السمحان، قال العقيد بصوت ارتوى من قهر الكارثة حتى الشيع، حتى الألم قال: هذا أول اجتماع لنا نريد أن تعرضوا علينا أفكاركم ومقترحاتكم.

قال صديقه جاسم: أقترح بأن يتم تشكيل فرقة لحماية بعض المنازل غير المسكونة وأقترح أيضاً حماية منافذ منطقة السرة وعددها أربعة منافذ.

قال أحدهم: نحتاج أيضاً لتعاون أحد الضباط في وزارة الدفاع معنا.

قال المطوع: سنقوم بالاتصال بالملازم أول فهد الشامي.

قال المطوع: سنقوم ببحث الشباب على الانضمام إلى فرقتنا.

ثم استطرد قائلاً: ولكن العملية تحتاج إلى المال نهض العقيد من كرسيه ثم قال: سأقوم بجمع المال من المقدم طلال المسلم والعقيد محمد الحرمي.

قال جاسم: بنبرة حزن غير معهودة.. علينا أيضاً أن نقوم بتوزيع بعض النقود على الأسر المحتاجة فظروف الاحتلال صعبة جداً.

أجاب العقيد جاسم: جاسم معك حق.. سأقوم بالاتصال برئيس مجلس إدارة جمعية السرة التعاونية ليقوم بهذه المهمة.





قال المطوع: أنا متأكد بأنه سيوافق دون تردد.. فهو لا يقل عنا
ولاءً وحباً لهذا الوطن، ولهذا الشعب الطيب.
الباب يطرق بقوة.. لا يطرق باليدين بل بالأقدام.
يصرخ العقيد جاسم: تفرقوا.. تفرقوا بسرعة.
يدخل الجنود وكأنهم سرب من النسور الجائعة يبحثون عن
فريسة ينقضون عليها.
قامات طويلة، نحيلة، هزيلة وبعضهم ذوو أجسام ضخمة
وأصوات مرعبة.
قال أحدهم: نريد هوياتكم.. نريد أن نتعرف عليكم.
قال جاسم المطوع: بغضب شديد.. وبلهجة لا تخلو من التهديد
نحن لا نعترف بالهويات فنحن نعيش خلية واحدة كلنا يعرف بعضنا
بعضاً دون أن تكون هناك بطاقات رسمية أو هويات.
فنحن ملامحنا هي هويتنا.. أتفهمون يا.. أم لا؟
اخرجوا من هنا أفضل لكم..
اقترب منه الجندي وأمسك بكتفه ثم قال: أتجرؤ بأن تتحدث
معي بهذا الأسلوب وأنت لا تحمل أي سلاح.
شعر جاسم بأن الدم يغلي في عروقه فأبعد يد الجندي بقوة
وبسرعة ثم قال: نحن نحمل الإخاء والمحبة لأننا نعيش في أرض
سلام، ولكن عندما تكشرون عن أنيابكم المفترسة في وجه الوطن،
فإننا الموت والدمار. ضحك الجندي ليكشف عن أسنان صفراء
متراكبة على بعضها فوق بعض.. قال: سنخرج ولكن شرط أن نأخذ
معنا بعض هذه الأجهزة الكهربائية.





فرح بقية رجال المقاومة بهذا الحل الوسط.. لأن لديهم خططاً
عسكرية يجب أن يقوموا بها الليلة فلذلك وافقوا على الطلب.
بقي جاسم غاضباً وأخذ يردد.. كلاب كلاب.
اطفئت الأنوار.. بقيت غرفة جاسم مضاءة إضاءة خفيفة يجلس
ويلتف حوله رجال المقاومة وبعض الشبان.
قال: الآن لدينا أسلحة قمنا بتجميعها من المخافر ومن وزارة
الدفاع وتمكننا من نقل بعض من الأسلحة من منزل المقدم طلال
المسلم في منطقة بيان.

يتحدث وإيماءات وجهه تدل على الشجاعة التي تولدت من
فرع، خوف، من غصة في مجرى البلعوم، غصة بماء يفترض أن
يكون عذباً ولكن الأنانية والدناءة حولته إلى مرارة وما أشدها
من مرارة.. شقيق يغدر بشقيقه، هذه هي الغصة التي لا تهضم
يتحدث وهو يحتضن الوطن بين ضلوعه.

قال: سأقوم بالمحافظة على هذه الأسلحة وبإيداعها في منزل
أختي القريب من هنا وهو من المنازل غير المسكونة.

سأل أحدهم: ما نوع هذه الأسلحة؟

قال: بنادق ذاتية، رشاش استقلال.

الليل لم يعد سكوناً وهدوءاً.. إنما قنابل، دبابات، أشباح تتوقع
أن تهجم عليك بأية لحظة، وقع أقدام تندر بالفناء.. فناء القومية،
الوحدة، الأمل، الأمنيات الجميلة، حلم الطفولة.





يتوقف جاسم برهة عند منعطف الطريق، يسمع خطوات الجنود.. لقد حذره أصدقاؤه من خطورة الوضع في هذه الليلة.. فالتفتيش يسير على قدم وساق، ولكنه أصر على توصيل النقود لبعض الأسر المحتاجة.

يطرق الباب طرقات متلاحقة..

حجي عبدالله.. افتح بسرعة.. يمد يده ومعه بعض النقود يتسلم الحاج عبدالله النقود.. شكراً يا ولدي.. شكراً يسرع إلى السيارة التي كانت تنتظره.. يلحق بهم جيب السيطرة العراقي.

يحاولون الهرب. ينجحون بذلك يصلون إلى المخبأ بأمان.

اليوم الخامس من الاحتلال الساعة الثالثة عصراً..

منطقة كيفان تقع تحت السيطرة العراقية.

جدران البيوت، جدران المدارس تزخرف بعبارات الرفض.. رفض الاحتلال.. ها هو يخط بالقلم العريض.. يعيش الوطن يسقط صدام.. يعيش جابر.. الله أكبر.. الله أكبر.. يلاحظ أن هناك جندياً يخرج من إحدى الثكنات العسكرية المنتشرة في المدارس والمعاهد وكليات الجامعة.

يركب جاسم الدراجة النارية.. ويفر هارباً ثم يلحق به بقية رجال المقاومة.. طلقات الرصاص تحاول أن تلحق بهم.. من المسدس العراقي.

يصاب أحد الشبان إصابة بالغة.. يضعونه بالسيارة يسرعون به إلى المستشفى يهمسون في أذن الطبيب من المقاومة: يهز الطبيب





رأسه.. يفهم ماذا يقصدون، ولكن الإمكانيات محدودة، فالجيش العراقي نهب وسرق كل الأدوات حتى حاضنات الأطفال، وعلى الرغم من ذلك يسرع الطبيب ويحضر المعدات الطبية المتوفرة لديه فيحاول إنقاذ الشاب.

يلتف أصدقاؤه من رجال المقاومة.. سلامات لا بأس عليك.. ينصحهم الطبيب بأن يعودوا إلى منازلهم، ويتعهد لهم بأنه سيقوم بتوصيل الشاب المصاب إلى منزل ذويه حال تحسنه.. فهذا أفضل له ولهم..

قال جاسم: الطبيب معه حق.. علينا الآن أن نتفرق ونعود إلى منازلنا حتى لا نعرض حياة الشاب للخطر.

يتأوه الشاب المصاب.. يردد.. أريد أن أموت في سبيل الوطن.. في سبيل الكويت.. حبيبتي الكويت.. يضع الطبيب يده على جبينه ثم يقول: اهدأ يا بني.. ستقوم بالسلامة إن شاء الله فالوطن مازال في حاجة ماسة لك ولأمثالك الأبطال.

أخذ يهذي.. يردد.. (وين الربيع؟).. (وين الربيع؟).. قال الطبيب ستتحسن حالتك وستلحق بهم إن شاء الله.

يأتي المساء يبحث عن قهقهات الصبية الذين اعتادوا أن يلعبوا هنا في الساحات المخصصة للعب في منطقة السرة وبالتحديد في قطعة ٦ لم يجد إلا ضوءاً خافتاً يأتي من نافذة منزله، يخبرنا بموعد الاجتماع، كم كان الوطن، الأرض، الأطفال، العجائز بحاجة ماسة إلى هذا الاجتماع الذي يعقد في كل مساء لرجال المقاومة وعلى رأسهم، هز بوجهه القمحي وشعره الأسود الذي تطرزه بعض





الخصلات البيضاء.. جاسم المطوع.. عرف عنه أنه عنيد عند الرياح القوية العاصفة التي ترفض الخضوع والاستسلام.

قال المطوع: في هذا الاجتماع أود أن أخبركم بأني تمكنت من معرفة كيفية إعداد قنابل المولوتوف على يد نقيب في الجيش الكويتي بالإضافة إلى خبرتي في استخدام السلاح فلقد تدريبت على استخدامه في فترة التجنيد.

إنصات، اهتمام، متابعة، صمت، الكل يتابع ما يقول باهتمام شديد.

تابع: وأريد أن أخبركم أيضاً بأننا انضمنا إلى مجموعة المقاومة في الرميثة. ثم أردف قائلاً متسائلاً:

- ما بكم قلقون هكذا؟.. هل أنتم خائفون يا رجال؟

قال أحدهم: نحن قلقون على صديقنا المصاب.

قال: لا بأس عليه إن شاء الله.. وإذا انتقل إلى جوار ربه فهنيئاً له الشهادة.

استطرد قائلاً: وعلى كل حال سأقوم بزيارته بعد هذا الاجتماع.

قاطعه أحدهم: لا.. أنت مراقب وهذا خطر عليك وعليه، لماذا لا نرسل أحداً من أقربائنا البعيد عن الشبهات؟
قال جاسم: وهو كذلك. اقتراحك جيد.

والآن سنقوم بإعداد القنابل والمتفجرات. وبعد ذلك سنقوم بمهاجمة السيارات التي تحمل العراقيين والقادمة من العراق.





الحافلة تعبر الطريق تضم في أحشائها مئتي شخص تقريباً.
جاءوا كالحشرات الضارة التي تنوي أن تبث سمومها في
شراييننا الطاهرة والنقية، التي تنوي أن تقلع الأشجار القوية
الواقفة من جذورها المطوع إحدى هذه الأشجار التي تقف حاجزاً
قوياً ضد تصرفاتهم الرعناء، الحمقى، هو السور الواقى الذي
يخيب آمالهم، صرخات مدوية، انفجار، حريق يتصاعد من الحافلة،
تصبح كالرماد، الذعر، الخوف يدب في صفوف العدو، صيحات
النسوة، الله أكبر، الله أكبر.

تعطر الأجواء تلمئن القلوب المجروحة، حريق، رماد، انتصار،
شعور بالفخر يبني صروحاً من المعنويات داخل أعماق الكويتيين،
إحساس بالقوة والأخذ بالثأر.

ولكن وضع جاسم ومجموعته أصبح أكثر خطورة من ذي قبل.
الشكوك تدور حوله، العيون الفاجرة تراقبه.

اغتسل وجه جاسم بالعزة والكرامة وارتدى ثوب البطولة ولكن
ظل يبحث عن الفجر الذي سرق منه في أثناء الغفوة والصحوة،
لا يزال هناك حق يجب أن يُسترد، حان الوقت ليكون جاسم قاهر
عنفوان الشر، قاهر الظلم، سيبحث عن هذا الفجر إلى أن ينشر
ضياءه ويترك نهره يروي العطشى، ولن يترك الأيدي القذرة تدنس
روافده، هكذا تدخل الأسماء الخالدة التاريخ ومن هذا الباب.

الشمس تتقياً مرارة وتغرق بها التراب فيزداد اصفراراً، يفور
الطين قهراً، أنامله تفيض على خيوط الفجر الضائع المنغمسة في
أمل رحيل الأزمة وعودة ابتسامة طفل رضيع يبحث عن صدر أمه





لينقذه من الجوع من المصير المعتم.. أزمة الضمير الغائب، الحاضر الذي استدعى كل هذه الظلمة في وسط نهار مشرق على كل العالم ماعدا عالم الطاغية المطلي بالسواد والحقد يجتر عقده ليغذي بها عقله الباطن فيزداد جنوناً في خلق الكوارث والمآسي للشعوب المسالمة.. نهض جاسم من مكانه قال بصوت مرتفع: لا.. ثم لا.. لن نكون فريسة سهلة لهم.. سنقاوم ولن نتردد مهما بلغت درجة التعذيب.

ثم تابع وهو يشرب الماء: الليلة سنقوم بتنفيذ عملية فيها شيء من الخطورة ولكنها إذا نجحت فإننا نكون انتقمنا منهم أشد انتقام. استطرد قائلاً: اليوم العملية ستتم في منطقة الجابرية حيث أثبتت التحريات أن هناك جنوداً يقيمون في المدرسة الإيرانية. أدار وجهه إلى الجماعة التي تجلس على يمينه قال: أنتم عليكم المراقبة.. ثم التفت شمالاً قال: وأنتم عليكم تمهيد الطريق.. أي تقومون بإشغال جنود السيطرة بالحديث عن حياتهم العامة وعن السجائر التي يدخنونها ويفضلونها وهكذا.. وعندما تشعرون بأن الطريق ممهد ترسلون لنا الشفرة الخاصة بذلك. وأنا سأقوم بعد ذلك بوضع المتفجرات الموقوتة انتصب واقفاً ثم قال: مفهوم يا جماعة.

جاء الصوت الجماعي.. مفهوم.. وكل شيء «أوكي» يرتدي ثيابه الخاصة بالعمليات.. ويراجع التعليمات التي أخذها من المهندس بالجيش، يعطي الإشارة للفرق أن يتوزعوا حسب الخطة المرسومة. الليل يتعاون معهم فيغرق المدينة بالظلام ويساعد على تخبيثهم.





تقف المجموعة (ب).. تتحدث مع الجنود المنتشرين هنا وهناك
جاسم يخطو خطوات ثقيلة مسكونة بثبات الأقدام يدلّف من الباب
الخلفي للمدرسة.. يضع القنابل في القمامة يفر هارباً.. أخذ
يحدث نفسه:

لحظات ويتم الانفجار..

تابع حديثه مع نفسه: هذه الليلة يجب أن نتفرق وكل واحد
يذهب إلى بيته.

يجب أن أتصل بهم لأخبرهم بذلك.

يتلذذ جاسم بسماع خبر الانفجار، فلقد نجح في خلق الخوف
والفرع في صفوف الجيش العراقي وأيقنوا أنهم يتعاملون مع أبطال
شجعان قادرين على أن يردوا الكيل كيلين.

هدأ جاسم وتنفس الصعداء ونظر حوله فوجد أنه سطر
على جبين الوطن أعظم قصة كفاح في التاريخ الذي شوه سطوره
الطاغية بهذا الغزو الغاشم على أشقائه وجيرانه.

يستلقى جاسم على السرير يداعب القلق والقلق يداعبه فلقد
أصبحت أصدقاء منذ فجر الثاني من أغسطس.. قالت زوجته: لماذا
لا تنام يا جاسم؟.. لقد تعبت كثيراً فعليك بالراحة ولو بضع دقائق،
حتى تستطيع أن تفكر جيداً بالعمليات الأخرى.

قال وهو يتهدد: المهم أن الأطفال لا يشعرون بشيء حاولي
العمل على تهدئتهم وإبعاد شبح الخوف عنهم.

قالت: أطمئن يا جاسم سأعمل كل ما في وسعي لئلا يلبث الأمان
في قلوب الصغار.





قال: ما رأيك لو أني ابتعدت عن البيت بضعة أيام حتى تهدأ
الأجواء ثم أعود منعاً لإيذائكم يا عزيزتي؟
قالت: لا.. أرجوك.. وجودك مهم في البيت ونحن نفديك
بأعمارنا.

غلب عليه النعاس من شدة التعب والإرهاق وعلى الرغم من ذلك
لا يزال يفكر في مهمة جديدة وفي أحوال بعض الأسر وخاصة أسرة
الشاب المصاب وتفاعلهم مع الخبر.

جاء الخريف ليجد أننا لم نعد كما كنا، جاء يبحث عن رائحة
البحر الزفرة، المنعشة التي تساهم في رسم لوحة الماضي وتجسيد
صورة الأجداد.

السحب سوداء تُعبر عن حزنها، تطل على شوارع الكويت
وبالتحديد منطقة السرة التي تلوك القهر كبقية المناطق. تبش،
تبحث عن الأمن الذي ضاع بسبب شهوة الدماء والقتل التي يتصف
بها جنود الاحتلال.

الساعة تدق تك تك تك تارك. يمتزج رنينها مع أنات صديقه
الشاب التي ملأت حواسه، غذت شعوره القومي، أسرع إلى عائلة
الشاب فسألهم عنه.. قالت والدته: الحمد لله.. لقد شفي.. وهو الآن
يُصلي.. إذا انتهى من الصلاة فسيلحق بكم.
اطمأن جاسم وأكمل مشواره البطولي.

اليوم الثاني من سبتمبر وهذه المرة الثانية التي تنطلق فيها
أصوات النسوة من أسطح المنازل مدوية الله أكبر.. الله أكبر.. رجاء،





توسل إلى الله، القوة تكبر، البطولة تنمو، تتزعزع في ظل الإيمان
تصبح شيئاً مفرعاً، مخيفاً لهم، لهؤلاء الأوغاد فيفتحون رشاشاتهم
على الأبرياء، يعتقلون المصلين من المساجد.. البراءة تموت كما
يموت الزنبق والياسمين.

وقف جاسم يرنو إلى الأفق البعيد يستفزه قرار وقح تولد من
رحم الحقد والاضطهاد.. اليوم ٩/٢٥ آخر موعد لتبديل البطاقة
المدنية - ويوم ١٩/٩/١٩٩٠ آخر موعد لتبديل الجنسية الكويتية.

يا له من قرار يتوافق تماماً مع أرواحهم النجسة الشريرة.. قال
جاسم بكل إصرار.. سنعيش كويتيين وسنموت كويتيين، أؤكد لكم
بأن مليون كلب لا يستطيع أن يصادر نجماً واحداً في السماء.

أشرق الصباح وأخذ يطلي الكون باللون الفضي الرائع حتى
هذه الصالة الكبيرة بدأ يتسلل إليها اللون الفضي من خلال النافذة
المفتوحة.. جرس الباب يرن.. ويرن. ويفتح جاسم وإذا بشخص
غريب الملامح.. ولكنه أثبت أنه كويتي.. قال جاسم: أهلاً وسهلاً
تفضل.. دخل وهو يتفحص المكان.. حركاته تثير الشك.

فسأله جاسم: ما هو طلبك؟

قال بإيماءات مريبة، مخيفة..

أريد سلاحاً.. لأحمي نفسي وأحمي عائلتي.

لم يتردد جاسم.. فنهض من مكانه واتجه إلى الداخل لحق به
زميله.. خالد سلامة..

قال خالد: أنا لست مطمئناً لهذا الرجل على الإطلاق.





قال جاسم: أنا كذلك.. لذلك لن أسمح له بأن يطلع على مكان الأسلحة.

ثم استطرد قائلاً:

ولكن واجبي كمواطن يحتم عليّ المساعدة، لذلك سأقوم مضطراً بإمداده بالسلاح.

قال خالد: أرجوك.. كن حذراً معه إلى أبعد حد.

قال جاسم: لا تخف.. كن مطمئناً يا خالد.

مد يده وسلمه بندقية ذاتية مع مخزونها.

سأله الرجل بخيث:

هل أنتم مقاومة؟

تلثم جاسم: ثم أجاب.. نعم.. نحن رجال مقاومة عض خالد على شفثيه ندماً على هذه الصراحة ثم أعطى لجاسم إشارة بتوقف إجابة لأي سؤال آخر.

خرج الرجل من المنزل.. فترك رجال المقاومة يتساءلون عن حسن نيته وبماذا يفكر وهل هو أهل للثقة أو لا؟

تمر الأيام والخوف والهلع بدأ يدب في صفوف الطاغية.

ضجيج الدبابات وعوي الكلاب يقتحم جدران ديوانية الروضان في منطقة السرة.. التي تضم رجال المقاومة ومن ضمنهم جاسم البطل الشجاع الذي أثبت أن الكويتيين عند الشدائد سيوف وخناجر في رقاب كل من تسول له نفسه الاعتداء على شبر واحد من هذا الوطن.





وأن الشعب الكويتي ليس شعباً مترفاً غير قادر على حماية نفسه.

قال أحد رجال المقاومة:

هل استطعت أن تتعرف على الشخص الذي أخذ منك السلاح.

قال جاسم: نعم.. إنه عسكري سابق قال أحدهم ويدعى عبداللطيف الطاهر:

هل أنت واثق منه.

قال جاسم وهو يتكىء على الأريكة..

بصراحة.. لست متأكداً من صدق نواياه.

قال عبداللطيف: إذن لماذا لا تقطع صلتك به.

قال جاسم: فكرت بذلك.

قال عبداللطيف: أنصحك بترك هذا المكان لفترة معينة...

قال جاسم: هل أنت متأكد بأنه مواطن غير مخلص إلى هذه الدرجة؟

هز رأسه عبداللطيف بألم وحسرة ثم قال:

للأسف... نعم

قال جاسم: وما الدليل على ذلك؟

قال عبداللطيف: لقد رأيتَه يتردد على الجنود العراقيين في المخفر.





ثم قال مقاوم آخر: بل هناك أكثر من ذلك، فلقد شاهدناه يشتري لهم بعض الحاجات من الجمعية.. فننصحك بسحب السلاح منه، اشتد غضب جاسم، فنهض وذهب مسرعاً إلى منزل هذا الرجل، وطلب منه أن يرد السلاح وعندما رفض هذا الطلب، سحبه منه بالقوة وعاد إلى مقره... تتصارع في رأسه الأفكار، أخذ يحدث نفسه قائلاً:

أيعقل أن يكون هناك إنسان في هذا الكون يسمح له ضميره أن يخون أهله ووطنه، يا إلهي... أي عقاب يستحقه هذا الوغد الفاسد، الشرير.

ليس هناك شيء أثنى وأعلى من الوطن.

الشعوب تُفنى ويبقى الوطن.. بدمائنا وأرواحنا نرفع علم الوطن عالياً.

وهو مستلق على السرير، سمع الباب الخارجي يضرب بقوة وبسرعة.. يفتح جاسم الباب.. يدخل بسرعة أحد رجال المقاومة.. يقول.. بكلمات متقطعة.. يلهث هيا يا جاسم تصرف بالسلاح بأية طريقة ثم اترك المكان بسرعة فلقد أثبتت التحريات بأن الشخص العسكري.. قام بتبليغ الجنود العراقيين عن أسمائنا وأماكننا.. فعلينا أن نهرب وبالأخص أنت يا جاسم هيا أسرع.. أسرع..

قال جاسم بشجاعته المعهودة:

سأقوم بإتلاف القائمة التي تضم أسماء وعناوين الضباط وغيرهم من أعضاء المجموعة ولكن لن أخرج من منطقة السرة، أنفهمون؟ لن أخرج من منطقة السرة؟..





قال أحدهم:

ولكنك بهذا الإصرار ستعرض حياتك للخطر.

قال جاسم: لا يهم.. المهم أن أرفع رأسي عالياً دون خوف أو تخاذل.. سألقنهم درساً لن ينسوه.. لن أسمح بزرع أفكار الفزع في نفوسنا..

قال أحد رجال المقاومة:

٥٥ ألف جندي مدعمون بحوالي ٤٢٢ دبابة و ٢١٦ قطعة مدفعية ميدان و ١٤٤ طائرة، نحن ماذا نملك؟

قال جاسم:

نحن شعب مسالم، نعيش كلنا أسرة واحدة، لا فرق بين حاكم ومحكوم نردد ونؤمن أننا كلنا للكويت والكويت لنا لذلك لسنا بحاجة أن نتعلم أو نتزود بالسلاح الثقيل ولكن أقول وأكرر على مسامعكم يا إخواني بأننا بعون الله وبهمتكم وإخلاصكم سنؤكد للجميع بأننا أصحاب حق ولن يتردد أحد بمساعدتنا والوقوف معنا وسنكون قادرين على مواجهة أية قوة كانت.

المهم أن تكون لدينا ثقة بالله تعالى وبأنفسنا .

عقارب الساعة تدور بحركة دائرية، ينظر لها جاسم يتساءل.. يا ترى ماذا تحمل الساعات القادمة من مفاجآت وأحداث.. الساعة تشير إلى الثالثة والنصف عصراً يلتفت يميناً، ينظر إلى الرزنامة.. بجد، ويقراً التاريخ ٣٠/ أغسطس ١٩٩٠.. ثمانية وعشرون يوماً مضت على الاحتلال..





وعمليات التفجير مازالت مستمرة، يدير رأسه نحو النافذة فيرى السيارات العسكرية تطوق المنزل بشراسة الوحوش الضارية صرخوا بأعلى صوتهم المرعب.. أين جاسم.. قابلهم.. جاسم بثقة واطمئنان.. قال: أنا جاسم المطوع:

التفوا حوله وربطوا يديه بغترته ثم بدأوا بعملية التفتيش صرخ الشهيد بأعلى صوته لينبه زوجته التي كانت مشغولة بتنظيف المنزل.

هدى.. ارتدي حجابك حالياً..

أسرعت هدى وارتدت حجابها مندهشة من هذه المعاملة غير الإنسانية..

احتضنت أطفالها وأدخلتهم إلى إحدى الغرف خوفاً عليهم.

خرجت من الغرفة ووقفت أمام الضابط بكل شجاعة فسأته.. ما سبب اعتقال زوجها.

استمر الجنود بالتفتيش عن الأسلحة..

لم يجدوا شيئاً وعلى الرغم من ذلك تم الاعتقال بقيت هدى تسأل وتساءل عن سبب الاعتقال قالت:

ما هي تهمة زوجي التي بسببها اعتقلتموه؟

قال الضابط المترهل بصوت غليظ متحسرج:

زوجك متهم بحيازة الأسلحة.. أفهمت..

قالت: ولكنكم قمتم بتفتيش المنزل ولم تعثروا على أسلحة إذن هو بريء من هذه التهمة.





تابعت القول وعيناها تواصلان التحديق في المسدس الذي يحمله بيده ويصوبه نحو جاسم، خائفة وهذا الخوف ولد لديها شعوراً بالاحتقار لهذا الجندي القذر..

تتطلع إلى وجه زوجها جاسم بإعجاب شديد لإخلاصه وحبه لوطنه وهي تعيش هذا التضاد وهذا التناقض بين الشخصيتين اللتين أمامها سجدت إلى الله تعالى، حمداً وشكراً على هذا الرجل الشجاع الذي وهبها إياه وجعله أباً لأطفالها.. وطلبت من الله أن يُلهمه مزيداً من الصبر والجلد والقوة والثبات.

تم الاعتقال بتهمة دفاعه عن شرفه ووطنه، بتهمة ولائه وانتمائه لأرضه، بتهمة الإخلاص المفرط والوفاء الزائد عن الحد.

الغرفة معتمة ورائحتها الخائقة تشبعت برائحة الجنود الزفرة التي تنبعث من أجسادهم، تمتزج بدخان السجائر الذي تم سلبه ونهبه من المحلات التجارية والجمعيات التعاونية، مما يساعد على استفزاز الحواس، فيصرخ جاسم.. أطلقوا سراحي يا كلاب أطلقوا سراحي.. يهمس الضابط في آذان الجنود.. ويبدوون بالتشاور كالجرذان في سلة الزبالة.. ينظر لهم جاسم بمقلتين ذابلتين ولكن يشع منهما الإصرار والتحدي والاستمرار على المواجهة والمحافظة على الشموخ والكبرياء.

يقترب منه الجندي يركله برجله.. ثم يقول:

عليك أن تعترف وتذكر بقية أسماء زملائك في المقاومة.

رفع جاسم رأسه قليلاً ثم قال بصوت خافت متعب:





ابتعد عني يا غبي.. يا غبي..
قال الجندي مندهشاً: كيف تجرأ وتقول يا غبي أنت لست خائفاً
من مضاعفة التعذيب لك.

قال جاسم: ألم أقل لك إنك غبي.. غبي..
واصل جاسم: أنا كويتي والخيانة ليست من طبعي.. فحتى لو
كان هناك أسماء فلن أدلي بها وها أنا أمامكم عذبوني كيفما شئتم
فتعذيبكم أهون لي من غضب الله والضمير..

قال الضابط وهو يرفع حاجبيه إلى أعلى بغضب شديد، استعملوا
معه السلك الكهربائي ربما ينصاع إلى أوامرنا ويعترف.
قام جاسم بحركات هستيرية لرفض هذا التعذيب.

هدأت الأوضاع وبدأ الجنود يغيرون معاملته تدريجياً وبدأوا
يخففون عنه التعذيب شيئاً فشيئاً إلى أن توقفوا نهائياً.
دخل الضابط: قال:

لقد أثبتت التحريات بأنك حقاً بريء لذلك سنقوم بالإفراج
عنك.

لقد بدا الأمر غريباً جداً بالنسبة لجاسم ولم يخطر في باله
بأن الرائد استلم غسالة كهربائية من زملائه مقابل الإفراج عنه، لم
يخطر في باله بأنهم وصلوا إلى هذه الدرجة من الخسة والندالة.

لا يهم كل ذلك المهم عند جاسم أن يكون حراً طليقاً ليواصل
عمليات المقاومة وينتقم للشعب من هذا الظلم.

الجو لا يزال رمادياً لا يوحى بالتفاؤل.





ولكن هدى زوجة جاسم تحاول أن تلملم خيوط الأمل من
ابتسامات الأطفال النائمين.

المنتظرين نهراً آخر أجمل وأحلى تحمله شجاعة والدهم
وزملائه إليهم وعن قريب.

يعود جاسم إلى منزله متعباً مرهقاً يرقد في فرشه ليرتاح
قليلاً.

ولكن هيهات أن يرتاح فيبدأ يفكر بهذا الصديق الخائن الذي
ساعده وأمده بسلاح وحاول إقناعه بالانضمام إلى رجال المقاومة
وبعد ذلك يطعنه من الخلف ويخبر الجنود عن عنوانه وعن تحركاته
يا له من حقيير يستحق الشنق.

شرايينه متشعبة بالإجرام.. كيف عاش على هذا التراب وفوق
هذه الأرض الطاهرة، يدنسها بقذارته.

لقد حذروني منه كثيراً وكنت أشك بإخلاقه ولكن لم أكن
أتصور بأنه إلى هذه الدرجة من النذالة. الوغد.. بودي لو أسحقه
كالحشرة تحت أقدامي.. إنه حقاً حشرة سامة قاتلة.

وضعت زوجته يدها على جبينه ثم قالت:

الحمد لله على السلامة: أنت الآن أفضل من الساعات الأولى
للصباح.

ساعدته على التخلي عن ملابسه الثقيلة لكي يرتاح وأخذت
تظهر آثار التعذيب المنتشرة على جسده بما توفر لديها من معدات
للطوارئ الموجودة في صيدلية المنزل.





يتأوه من شدة الألم.

قالت بتهكم: يا إلهي.. ما هذا الإجرام؟

قال جاسم:

أتعرفين بماذا أفكر؟..

قالت: بماذا يا عزيزي؟..

قال: بهذا الشخص الذي خان الأمانة وخان وطنه قبل أن يخون

العشيرة..

قالت: إن الله له بالمرصاد.. الله يمهل ولا يهمل فحتماً سيأخذ
جزاءه من الله أولاً ومن القضاء ثانياً ثم أخذت تتأمل وقالت: كم أنا
سعيدة بك وفخورة برجولتك، إن هذه الجراح بمثابة وسام نفتخر به
ويشرف ماضيها وحاضرنا ويطرز مستقبل أطفالك.

قال: الوطن محتاج لنا يا هدى.. حان الوقت لنفديه بأرواحنا
لنرد له بعضاً من عطائه الفياض والمستمر لنا ولأجدادنا ولأحفادنا
ولأبنائنا.

قالت: هنيئاً للوطن بك وبأمثالك من أبنائه البررة.

قال: هذا واجبنا يا زوجتي العزيزة.. الله يقدرنا على أدائه على
أكمل وجه.

قالت: لماذا لا تحرك يدك اليسرى.

قال: لا أستطيع.. لا أستطيع





اكتشفت هدى أن يده مشلولة.. حاولت أن تعرضه على الطبيب فباءت محاولاتها الأولى بالفشل ولكن عندما استعانت بأهلها وبزملائه، نقلوه إلى المستشفى. لقد سرق ونهب جنود الاحتلال كل الأجهزة والأدوية المتاحة ولم يبق إلا القليل وغير الصالح للاستعمال الطبي، لذلك لم يتمكنوا من علاجه العلاج الجيد. بقيت يده مشلولة.

وجد أطفاله عزتهم وكرامتهم تتجسد في هذه اليد المشلولة. وجدوا أنها لوحة رائعة من الجمال تحكي للأجيال قصة كفاح مشرفة، تعبر عن قوة إرادة وتحذ ودلالة واضحة على أن الكويتيين ولدوا أحراراً وسيموتون أحراراً ولم يأتوا من رحم الانكسار أو التخاذل.

هذه الحياة الأبية.. أخذ عطاءً.. وجهاد من أجل رفعة الوطن وبناء سور قوي من التآخي والتضحيات لحمايته من الأطماع. أقبل أصدقاؤه وزملاؤه .. استأذنوا زوجته في الدخول إلى غرفته.

أحاطوه بالحب والحنان والاهتمام والرعاية .. شعر بقوة الترابط التي تجمعهم مما جعله أكثر اطمئناناً.

قال أحدهم:

لقد دبرنا في غيابك عمليتين تفجيريتين في مكانين يضمن عدداً كبيراً من الجنود





قال جاسم: فيكم البركة يا عيون الوطن وأنا متأكد من إخلاصكم
وتفانيكم في خدمة هذه الأرض.

قال آخر:

نحن نرى أنه من الأفضل أن تغادر منطقة السرة ولاسيما أن
هناك مكاناً آخر مناسباً أكثر لك وبعيداً عن أنظار الجنود، ففيه
أمان أكثر ونستطيع أن نتشاور ونعقد الاجتماعات ونحن مطمئنون
إلى حد ما .. ما رأيك بهذا الاقتراح، قال جاسم بصوت متقطع:
لا .. أنا لست معك بهذا الرأي، فالبقاء هنا أفضل، لا أريد أن
أشعر في لحظة من اللحظات بأني جبان وغير قادر على المواجهة ..
لا .. أرجوكم .. سأبقى هنا وسنعمل كخلية نحل بتعاون وتفاهم والله
معنا.

قال آخر: ولكن الوضع هنا فيه خطورة عليك ونحن بأمس
الحاجة لتعليماتك وحثك المتواصل لنا.

قال جاسم: سننقسم إلى مجموعات كالعادة.

هناك مجموعة تراقب الطريق .. ومجموعة تُحضر السلاح ..
ومجموعة تقوم بإعداد القنابل وهكذا لقد اعتدنا على هذا المكان.
قالوا جميعاً: الآن سنتركك ترتاح ونعود لك غداً إن شاء الله ..
دخلت زوجته وهي تحمل كأس العصير .. قالت: لا تفكر كثيراً يا
جاسم .. أنت الآن متعب .. عليك بالراحة الجسدية والفكرية .. حتى
تستعيد نشاطك وصحتك.

قال جاسم: لقد نصحوني بمغادرة المكان تحسباً لأي اعتقال
آخر .. أو هجوم مسلح على المنزل.





وهذا صعب عليّ يا هدى.. وأرى أنه يخالف مبادئى.

قالت هدى مترددة بعض الشيء:

أنا شخصياً أوافقهم الرأي، فمن الأفضل تغيير المكان ولو أنك ستكون بعيداً عنا ولكن سنتحمل فراقك المؤقت أفضل من فراقك إلى الأبد أو بقاتك مع هؤلاء المجرمين ألا يكفي ما سببوا لك من أذى وتعذيب يا جاسم.

قال: لا.. لن أغادر مكاني مهما كانت الأسباب.

قالت: اهدأ الآن ونم.. وغداً سنجد الحل بإذن الله تعالى.

قال بكل إصرار: لا يا هدى.. لن أغادر مكاني.. أفهمت؟

لاحظت أنه تضايق كثيراً من هذا الاقتراح.

فحاولت إكساب الموقف شيئاً من المرونة. والتخفيف عنه

قالت: نحن نطلب منك ذلك من منطلق حرصنا الزائد عليك وأنا بصراحة غير مطمئنة لوجودك هنا.. ولكن إذا كنت ترى غير ذلك.. فلا تغضب يا عزيزي.. المهم أن ترتاح الآن وتنام.

قال: أنا آسف يا عزيزتي.. كم يغضبني مثل هذا الطلب.

سخونة الأوضاع تزيد من درجة الحرارة التي تبدأ تخف عادةً في مثل هذا الشهر من كل عام.. اليوم التاسع من شهر سبتمبر.. والحافلات التي تعج بالجنود والمدنيين العراقيين تلقي بثقلها على الأرصفة، فيزداد الجو اختناقاً.





جاسم يترقب مداهمتهم في أية لحظة .. فجاءت هذه اللحظة
ثقيلة تُضفي بلونها الأسود مزيداً من الحزن على هذه الأسرة الطيبة ..
يُنَادِي الضابط بصوت غليظ جاسم .. جاسم .. تعال إلى هنا .. يزجره ..
لماذا أنت تقف هناك؟ تعال إلى هنا بسرعة .. بسرعة .. هيا اربطوا
يديه بسلاسل وأدخلوه السيارة يصرخ والده .. اتركوا ابني .. اتركوا
ابني الله لا يجزيكم خيراً .. أيها الوحوش المفترسة .

اقترب والده من الملازم بخطوات بطيئة ثم قال:

ماذا تريدون مقابل أن تطلقوا سراحه؟

دفعه بقوة وألقى به على الأرض ..؟

نظر لهم جاسم نظرة احتقار لأنهم لم يحترموا شيخوخة والده
المسن ..

تمتم قائلاً: كلاب .. كلاب .. أوغاد .. أوغاد ..

يسير وهو منهوك القوى تحت شمس اليوم التاسع من سبتمبر
إلى هذا المصير المجهول المعلوم في نفس الوقت .

إيمانه القوي بقضيته الوطنية وبأن الله تعالى يبارك له خطواته
يخفف عنه قليلاً من شدة الوطأة .

شعوره بأنه يُعتقل لأنه بطل، يرفض الانصياع ويرفض الاحتلال
يمده بالراحة والطمأنينة .

أربعة رجال من السيطرة يزجون به في هذه الغرفة المظلمة
المشبعة بالرطوبة .. ورائحة الجردان والأكل الفاسد .. بصق جاسم
على الأرض وشعر برغبة بالتقيؤ .. شعر بدوار في رأسه ثم وقع





على الأرض تسارعوا لإنقاذه، ليس بدافع الانسانية وإنما لأن بقاءه حياً مهم بالنسبة لهم.. فهم يريدون أن يعرفوا منه بقية أسماء رجال المقاومة.

جاسم يدرك ذلك تماماً.. ويدرك أيضاً بأنهم لن يتركوه يستشهد دون أن يتلذذوا بتعذيبه و بانتهاك كل حقوقه كإنسان.

انتعش قليلاً، فرفع رأسه وإذا به يرى أمامه أدوات التعذيب.. والعصا والسلك الكهربائي والآلة الخشبية للضرب، عصا مطاطية.. هراوة كهربائية.

يبدأ بقراءة بعض السور القرآنية القصيرة سراً.

يحاول أن يهرب من هذا المنظر المؤذي للعين والنفوس.

يمسكه الجندي بقوة من كتفه ثم يهزه بعنف ويقول له بلهجة التهديد المرعبة:

عليك، أن تعترف هذه المرة بكل التفاصيل وتذكر لنا كل الأسماء التي تعمل معك في المقاومة والا فسنلقنك درساً لن تتساه.

استطرد قائلاً وهو يمسك إحدى أدوات التعذيب أعتقد بأنك جريت هذا السلك الكهربائي في المرة السابقة ولديك علم بقسوته وكم هو مؤلم؟.. هل ترغب في إعادة هذه التجربة مرة ثانية.

يتحدث وجاسم صامت تسقط عليه الكلمات كالحمم البركانية ولكن حبه للكويت يعمل كالمضاد الحيوي ضد الاستسلام، ضد الرضوخ لأوامر الطغاة.





السلك الكهربائي يحرق جسده الطاهر النقي الذي تفوح منه رائحة المسك والعنبر.

رائحة العزة والكرامة.

يتألم، يتأوه.. أخذ يصرخ بصوت خافت، ضعيف، وبكلمات متقطعة كفى.. كفى.. إجراماً يا مجرمون يا أعداء الله والأمة العربية، ألم تعرفوا جاسماً بعد؟.. لن أعترف، وليس لدي أسماء حتى أذكرها.. كل الشعب الكويتي سيقاومكم حتى تتدحروا مهزومين بعون الله تعالى ثم أخذ يردد.. الله أكبر.. الله أكبر يأتيه صوت الجنود.. صوت الباطل يقول له:

لا تفتح فمك بكلمة واحدة.. لماذا هذه التكبيرات هل نحن نجلس في المسجد..؟ قال جاسم: لماذا يزعجكم ذكر الله؟.. أتعرفون لماذا؟.. لأنكم ظالمون.. متجبرون وسينزل عليكم عقاب الله قريباً.. قريباً وعاد يردد الله أكبر.. الله أكبر على كل جبار معتد.

توالت اللطمات على خديه الأيمن ثم الأيسر، حتى تورم وجهه واحمر على الرغم من كل هذا العذاب والقهر إلا أنه أبى أن يدلي حتى بحرف واحد من أسماء زملائه والمشاركين في عمليات المقاومة ليسجل بذلك أروع صور البطولات والتفاني والمروءة والإخاء وهو بذلك أسس أهم مدرسة لتعليم معنى الوطنية ولترسم مواصفات المواطن المثالي.

قام والده بجهود مضيئة وقدم الكثير من الرشاوي من أجل الإفراج عنه، فتم إطلاق سراحه بعد أن سلبوا منه صحته وعافيته ولكنهم لم يستطيعوا بكل ما أوتوا من قوة أن يسلبوا إرادته وعزيمته وشرفه وولاءه، فعاد إلى أهله بجوهره الثمين وبعقله الرزين.





لقد نجحوا في تعذيب جسده ولكنهم أخفقوا إخفاقاً ذريعاً في تدنيس ضميره، فلم يصلوا إلى تحقيق هدفهم ورغبتهم الدنيئة.. بقي جاسم البطل المغوار.

جاء الصباح ليمنح أملاً جديداً لهذه الأسرة الطيبة كباقي الأسر الكويتية التي لا تخلو من رجال المقاومة.

جاء الصباح ليجد جاسماً ملقى على السرير متعباً فمسح على جبينه ليضفي على هذا اليوم نسيجاً فضفاضاً من الأمنيات الجميلة المشحونة بالحب والحنان.

اقتربت منه زوجته وقالت:

الحمد لله على سلامتكم يا جاسم.

لقد عدت إلينا معافى وإن شاء الله تزول هذه الجراح مع الوقت وتتحسن صحتك شيئاً فشيئاً.

ساعات معدودة وإذ بالباب يطرق بسرعة وسيارات الاحتلال تطوق المنزل.. يدخلون إلى منزل جاسم دون استئذان ودون ذوق ولا رحمة ولا احترام لأهل البيت وحرمته، فيعتقلون جاسم للمرة الثالثة أيقنوا بأنه هذه المرة لا يستطيع المقاومة فهو ليس على خير ما يرام وصحته سيئة جداً كل مرة يدخل المعتقل يكون حاملاً وسام الشرف معه.. جسده متخن بالجراح ووجهه متورم من شدة التعذيب.

شعرت هدى زوجته برغبة لا تقاوم بالبكاء، فكأنها شعرت أن زوجها لن يعود هذه المرة.





تحاول أن تسيطر على أحاسيسها حتى لا تضايق الأطفال.

نظرت إلى صورته وقالت:

كم أنا فخورة بك يا جاسم، كم أنا سعيدة بهذه البطولات التي تحققها.. نعم بطولات رغم أنك معتقل ولكن صمودك وقوة إرادتك، وتحملك لهذا العذاب وقدرتك على المواجهة تعتبر أروع البطولات، فهنيئاً للوطن بك أيها الابن البار وهنيئاً للتاريخ لاحتوائه إسمك..
تمضي الأيام والأخبار مقطوعة عن جاسم، أهله يسألون.. زملاؤه يسألون .. لا أحد يعلم عنه شيئاً.

والده يبذل قصارى جهده لمعرفة مكانه ولكن دون جدوى.

الساعة السادسة والنصف صباحاً.. الأطفال نائمون وزوجته تدعو الله أن تسمع ولو خبيراً عن زوجها البطل.. ها هي أمام النافذة تستنشق عبيراً ملوثاً بأنفاس قذرة تطلعت على أجواء مدينتها الساحرة الجميلة. رأت ثلاث سيارات عسكرية عراقية أمام منزلها من نوع فان.. رأت الجنود يأمرن زوجها جاسم بأن يترجل من السيارة ويسير نحو باب المنزل الخارجي وفي نفس اللحظة أطلقوا النار على رجليه فسقط على الأرض.. صرخت لا شعورياً.. وأخذت تهول كالمجنونة إلى الطابق السفلي، ثم أسرعت إلى الباب ففتحته بارتباك شديد وبفزع لا يوصف.

كانت الصدمة قوية عليها.. فتهافت الجيران ليشاهدوا جاسم جثة دون حياة.. قالوا جميعاً.. إنا لله وإنا إليه راجعون.. البقاء لله وحده.. كلنا سنموت ولكن أي موت هذا إنه الاستشهاد في سبيل





الوطن أفضل نهاية للإنسان.. لقد كرمه الله بهذا الموت.. قالت
هدى: جاسم لم يمت جاسم حي يرزق.. جاسم سيبقى في قلوب
الناس.





القلب الجسور

- ٤٠ -

